جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

محاضرات مقياس:

منهجية البحث المقارن

موجهة لطلبة السنة الأولى

ماستر شريعة و قانون

-المحاضرة 1 -

السنة الجامعية : 2021-2022

مقدمة:

نقدم من خلال هذه المطبوعة مجموعة من المحاضرات في مقياس " مناهج البحث في الشريعة والقانون " للسنة أولى ماستر تخصص "شريعة وقانون "، بغرض التأهيل العلمي والمنهجي في التخصص أولا، ثم تعمق الطالب في مناهج البحث المتعلقة بالدراسات المقارنة الشرعية القانونية، على أن يكون هذا الطالب قد تلقى تكوينا سابقا في مادة مناهج البحث عامة وقواعد المنهجية العلمية، وكذا إلمامه بأهم مقاييس الجانب الشرعي والجانب القانوني حتى يتمكن من التطبيق العملي لمنهجية الدراسة المقارنة بين الجانبين.

وفي سبيل الإلمام بمقرر المقياس المعتمد من طرف الكلية تم تقسيم مخطط المحاضرات وفقا لما يلي:

المبحث الأول: مدخل لمنهجية البحث المقارن.

المبحث الثاني: تاريخ البحث المقارن.

المبحث الثالث: مناهج البحث المقارن.

المبحث الرابع: منهجية الدراسات الفقهية المقارنة.

المبحث الخامس: منهجية الدراسات الأصولية المقارنة.

المبحث السادس: منهجية الدراسات القانونية المقارنة.

المبحث السابع: أسس وضوابط المقارنة بين الشريعة والقانون.

المبحث الثامن: منهجية تحليل النصوص الفقهية.

المبحث التاسع: منهجية تحليل النصوص القانونية.

المبحث العاشر: منهجية النقد القانوني.

المبحث الأول: مدخل لمنهجية البحث المقارن:

للوقوف على مدلول منهجية البحث المقارن، لا بد من التعريف بكل من المنهجية والبحث المقارن، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج والمنهجية والفرق بينهما: للوقوف على تعريف المنهجية لابد من تعريف المنهج أولا، ثم المنهجية، ثم الفرق بينهما.

الفرع الأول: تعريف المنهج:

أولا: لغة: أما المعنى اللغوي للمنهج فأصله من الفعل نَهَجَ، ويقال:نَهَجَ فلان الأمر نَهْجًا؛ أي أبانه وأوضحه، ونَهَجَ الطريقَ: سلكه، وأَنْهَجَ الطريقُ: وضح واستبان، وصار نَهْجا واضحا بيّنا، والمنهج بفتح الميم وكسرها هو النّهج والمنهاج؛ أي الطريق الواضح المستقيم، ومن معانيه أيضا الخطة المرسومة.

ثانيا: اصطلاحا: عُرّف تعريفات متعددة أشهرها:

1- المنهج هو:" فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين."

2- المنهج هو:" الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة."

3- المنهج هو:" الطريق الذي يسلكه الباحث في تقصيه للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة"

الفرع الثاني: تعريف المنهجية والفرق بينها وبين المنهج:

أولا: لغة: التعريف اللغوي للمنهج يصدق على المنهجية، إذ هي مصدر صناعي للمنهج، فيكون المستفاد بها كالمستفاد بالمصدر.

ثانيا: اصطلاحا: هناك من يجعل المنهجية مرادفة للمنهج حتى من الناحية الاصطلاحية في استعمالاته، وهناك من يفرّق بينهما وهو الأصل، غير أننا نسجل اختلافا بين العلماء في التفرقة بينهما اصطلاحا.

1- هناك من عرّف المنهجية في الاصطلاح على أساس أنها لفظة مترجمة من اللغات الأخرى(اللاتينية)، حيث يقابل لفظ المنهجية لفظ"méthodologie "، وهو مركب من كلمتين:"Method" و"logie"، وعليه فإن المنهجية في اللغة الأجنبية هي مصطلح يطلق على علم الطرق أو المناهج، وبهذه الدلالة يتحدد معنى المنهج بالوسائل والطرائق التي تستخدم للوصول إلى الحقيقة ويسلكها العقل البشري لكشف غوامض الوجود وفك أسراره والاقتراب من حقائقه، في حين أن معنى المنهجية يتحدد بالعلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج واختبارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، فالمنهجية هي الواصلة بين النموذج المعرفي والمناهج.

2- هناك من جعل المنهجية اصطلاحا هي: " مجموعة من المعايير والتقنيات والوسائل والإرشادات التي يتبعها الباحث قبل وأثناء البحث، وعليه فموضوع المنهجية هو معايير البحث وكيفية كتابته، وكيفية تدوين الحواشي والهوامش والفهارس...بغرض تعليم الطالب البحث العلمي وتنمية الروح العلمية فيه."

وبناء على ذلك تكون أهم الفروق بين المنهج والمنهجية خمسة فروق هي:

أ- المناهج وصف لأعمال المتقدمين وطرائق بحوثهم وأساليبهم ومصطلحاتهم، فالعلوم والبحث العلمي سابقة للمنهج، أما المنهجية فمجموعة معايير وتقنيات ووسائل يجب إتباعها قبل وأثناء البحث.

ب- المنهجية كالمنهج وصفية؛ لأنها تبين كيف يقوم الباحثون بأبحاثهم ،لكنها تختلف عنه في كونها معيارية في الوقت نفسه ؛لأنها تقدّم للباحث مجموعة من الوسائل والمعايير والتقنيات الواجب إتباعها.

ج- المناهج مرتبطة بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج، لذلك فهي تتطور و تتعدل من حين لآخر، أما المنهجية فأضحت عموما جملة قواعد ومعايير ثابتة.

د- مناهج الدراسة والبحوث تختلف من علم لآخر،فالأدب له منهجه، وكذلك اللغة والتاريخ والقانون والرياضيات...، أما المنهجية فواحدة عموما.

هـ- المناهج تطرح عادة للنقد والتقويم، فيفصّل ما لها وما عليها وأيها أولى بالإتباع، وما المنهج المناسب للدراسة، أما المنهجية فمعايير وتقنيات يجب التزامها بتوفير الجهد وعدم إضاعة الوقت وتسديد الخطى على الطريق العلمي الصحيح.

و عليه نصل في الأخير إلى أن المنهجية و المنهج ليسا حقيقة واحدة، بل إن المنهجية مفهوم أشمل وأعم من المنهج؛ حتى قيل عن المنهجية أنها فلسفة المناهج.

المطلب الثاني: التعريف بالبحث المقارن وأهميته: بما أن مصطلح البحث المقارن مركب من لفظتي: البحث والمقارن لا بد من تناول مدلول كل منهما لغة واصطلاحا، ثم الوصول إلى مدلول المركب الإضافي، ثم الحديث هن أهمية ودور هذا النوع من البحوث.

الفرع الأول: التعريف بالبحث المقارن:

أولا: البحث لغة واصطلاحا: أما البحث لغة فهو من الفعل: بحث،يبحثه بحثا، وابتحثه ، بمعنى طلب الشيء، وأن تسأل عنه وتستخبر، وتبحثت عن الشيء أي فتشت عنه.

والبحث اصطلاحا: طلب الحقيقة وتقصيها وإشاعتها بين الناس؛ لأن الوصول إلى الحقيقة غاية كل الباحثين.

ثانيا: المقارن لغة واصطلاحا: المقارن من الفعل قارن، وأصله الفعل قَرَنَ، وهو بمعنى جَمَعَ و وَصَلَ وصَاحَبَ، فيقال قرن بين الحج بالعمرة أي جمع بينهما بنية واحدة، وقرنت الشيء بالشيء أي وصلته به، واقترن به صاحبه ومنه قرينه أي صاحبه، وقارن الشيء بالشيء وازنه به وقابله.

والمقارنة اصطلاحا هي:" مقارنة الرأي بالرأي مقابلته أو موازنته به، ليعرف مدى اتفاقهما أو اختلافهما، وأيهما أقوى وأسد بالدليل، وهو لا يخرج عن أصل المعنى اللغوي."

ثالثا: التعريف بالبحث المقارن: عُرِّف البحث المقارن تعريفات مختلفة تبعا لعدة اتجاهات، إلا أننا سنركز في دراستنا على تعريفه بناء على الاتجاه العلمي، ذلك أننا نسجل في تحديد ماهية البحث المقارن اتجاهين رئيسين هما: اتجاه العامة والاتجاه العلمي:

1- ماهية البحث المقارن وفقا لاتجاه العامة: إن البحث المقارن وفقا لاتجاه العامة يمثل هدفا في حد ذاته، إذ تقتصر ماهيته على تحديد مستويات الخلاف تضاف إليها مستويات التشابه بناء على رأي آخر، فالبحث المقارن وفقا لهذا الاتجاه يقتصر على الوصف وينتهي عند استقصاء حالات التشابه أو الاختلاف.

2- ماهية البحث المقارن وفقا للاتجاه العلمي: أما في الاتجاه العلمي، فˈن البحث المقارن يمثل أداة ومنهجا يستهدف استيعابا أعمق للظاهرة أو النظرية، وهو يمارس عملية التفسير إضافة إلى سياق الوصف، لذلك تمثل الخطوة الأكثر أهمية في إطاره هي: الانتقال من حالات الشبه والخلاف الشكليين، نحو مساحات الاشتراك والتباين الحقيقيين وتفسير ذلك وتعليله.

وعليه يمكن تعريف البحث المقارن وفقا للاتجاه العلمي هو:" قراءة وفهم ظاهرة أو فكرة في إطار مقارن من خلال فهم مستويات الاشتراك والتباين وتفسيرها"، أو هو:" البحث الذي يسعى إلى إبراز مواطن الوفاق أو الخلاف بين قضيتين أو قضايا في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله." و من خلال هذين التعريفين نستنتج أن ماهية البحث المقارن تقوم على ركنين أساسيين هما:

أ- فهم ظاهرة أو فكرة أو قضية ما فهما متعدد الأبعاد، وهو هدف البحث المقارن.

ب- فهم حالات الاشتراك والتباين وتفسيرها و تعليلها، وهو الركن الثاني في ماهية البحث المقارن والذي يوصل إلى الركن الأول في حقيقة الأمر.

الفرع الثاني: أهمية ودور البحث المقارن: ثمة مكاسب متعددة يحققها لنا البحث المقارن؛ لأن المقارنة بين أمور وقضايا عدة يعد من أساليب اكتساب المهارة البحثية والدربة على الاستنتاج السريع والدقيق، ذلك أن الاتجاه المباشر في فهم الأشياء يحرم المرء من رؤية أبعادها المختلفة، ويجعل رؤيته سطحية، لنفرض أن مديرا لا يرى على الدوام إلا نفسه والمؤسسة التي يتولى إدارتها، ولكن ما مدى واقعية تصوره حول نفسه ونجاحاته ومشاكله ومستقبل مؤسسته؟ بينما نفترض مديرا آخر يرى نفسه في ضوء رؤيته لغيره من الكوادر الإدارية، فهذا يمارس تقييم إدارته بالمقارنة مع الدوائر المنافسة والمشابهة، ترى أي التصورين أكثر عمقا وشمولية؟ من المؤكد أن تصور المدير الثاني يمثل بصورا استراتيجيا أعمق.

من هنا فإن البحث المقارن يقود الباحث بعيدا عن الحصر المنهجي، ويتيح له استيعاب الجوانب الخفية في موضوع البحث، ويجعله أقدر على تحديد المسائل وملاحظة حيثياتها، ويمكن الوقوف على أهمية البحث المقارن ودوره المؤثر من خلال مطالعتنا للنصوص القرآنية، فالقرآن يستخدم أسلوب المقارنة بين الأشخاص والمواقف بهدف إيجاد تحول في الرؤية وبلورة بصيرة نافذة، الأمر الذي نجده مثلا في قوله تعالى ضمن استفهام دال((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)) الآية السورة، وغيرها من النماذج القرآنية لهذا الأسلوب الذي يربي النفس على الرؤية الثاقبة.

وعليه فاعتماد الاتجاه المقارن في البحث والتأمل في مستويات التباين وجوانب الاشتراك، إلى جانب محاولة تفسير ذلك يكشف الأبعاد الخفية في الأشياء والقضايا من خلال فهم متعدد الأبعاد.

المبحث الثاني: تاريخ البحث المقارن: سنتناول في هذا المبحث تاريخ البحث المقارن منذ ظهور أول جذوره إلى عصرنا الحاضر، وكذا أسلوب المقارنة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الجذور التاريخية للبحث المقارن: إن عملية المقارنة قديمة قدم الفكر الإنساني، حين استخدم كأداة معرفية يتم من خلالها تحديد وإبراز أوجه الاختلاف أو الائتلاف بين موضوعين أو ظاهرتين، ولقد أجمعت معظم الأدبيات السياسية والاجتماعية أن جذورها تعود إلى العصر اليوناني، فقد كان أرسطو من المفكرين المبادرين بتطبيق المنهج المقارن في أبحاثه السياسية، ولا سيما عندما تعرض لدراسة ومناقشة حوالي مائة وثمان وخمسين دستورا و نظاما من النظم السياسية في اليونان القديم وذلك في مؤلفه السياسة، فهو يرى أن المعرفة السياسية رهينة بملاحظة تعدد النظم السياسية ومقارنة ما بينها من نقاط اختلاف ونقاط ائتلاف، وفي اعتقاد أرسطو أن هذا التعدد النظمي يرجع أساسا إلى وجود فوارق جوهرية فيما بينها، والمقارنة هي الكفيلة بالكشف عن تلك الفوارق.

إلى جانب أرسطو في العصر اليوناني، فقد وجد منهج المقارنة مساهمة كبيرة في القرون الوسطى من طرف بعض المفكرين المسلمين وعلى رأسهم "الفارابي" الذي اعتمد أسلوب المقارنة للموازنة بين الدول الفاضلة والدول الضالة في مقولة السعادة، وكذا "الرازي" في كتاباته الطبية، حيث كان يعتمد أسلوبا علميا معروفا هو الاقتباس والمقارنة في الآراء والأفكار، والرازي من أعظم أطباء الإنسانية له كتاب "الحاوي في الطب" جمع فيه المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925م، دون أن ننسى

المساهمة الفعالة لعبد "الرحمان بن خلدون" في مجال الدراسات المقارنة حين استخدمه في مقارنته لأجيال الدولة في إطار ما أسماه بالعصبية وذلك في مقولتي "الإكراه والإقناع".

المطلب الثاني: البحث المقارن في العصر الحديث: أما في العصر الحديث والأزمنة المعاصرة، فقد اشتهرت العلوم الإنسانية باستعمالها لمنهج المقارنة وخصوصا في الدراسات الاجتماعية، فعلماء الاجتماع كأمثال"دوركايم" وغيره اعتبروا المقارنة بمثابة التجربة في الدراسات العلمية؛ لأنها تستطيع أن تحدد بدقة علمية وموضوعية أوجه الشبه والاختلاف وحجم الفوارق بين النظم الاجتماعية، كما أنه من خلال المقارنة باستطاعتنا اكتشاف المحاسن والعيوب والسلبيات والإيجابيات في الظواهر الاجتماعية، أما علاقة القانون بالبحث المقارن، فقد عرف القانون تطورا مهما خلال القرن التاسع عشر بتأسيس جمعية التشريع المقارن بباريس سنة 1986م للاهتمام بدراسة القانون المقارن، عن طريق مقارنة الأنظمة القانونية لبلدان مختلفة لأجل معرفة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين هاته القوانين، والعمل على تفسير مختلف فروع القانون.

أما في عصرنا فقد توسع استعمال الدراسات والأبحاث المقارنة سواء في العلم الواحد وفروعه، أو بين العلوم المختلفة ،كما هو الشأن بالنسبة للدراسات المقارنة بين الشريعة والقانون التي أخذت اهتمام العلماء والباحثين في ميدان الشريعة أو القانون.

المطلب الثالث: أسلوب المقارنة في القرآن الكريم: من أهم الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في بيانه وأدبه لإيصال الفكرة والمفهوم، والتأثير في النفوس أسلوب المقارنة كمقارنته بين العالم والجاهل في قوله تعالى:((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)) الآية السورة، ومقارنته بين المهتدي والضال في قوله تعالى((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**)) الآية، وكذا مقارنته بين أهل الجنة وأهل النار وبين الحقيقة والوهم وبين الطيب والخبيث في قوله تعالى:((**أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**))،((**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ**)) الآية،((**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**))الآية، فالقرآن يستخدم أسلوب المقارنة بين الأشخاص والمواقف بهدف إيجاد تحول في الرؤية وبلورة بصيرة نافذة، الأمر الذي نجده في كثير من النماذج القرآنية لهذا الأسلوب الذي يربي النفس على الرؤية الثاقبة.

المبحث الثالث: مناهج البحث المقارن: إن الدراسات المقارنة التي تتم بين موضوعين في العلم الواحد، أو التي تتم بين موضوعين من علمين ومجالين مختلفين تعتمد منهجا رئيسا هو المنهج المقارن باعتباره الكفيل بإبراز مواطن التباين والاشتراك بين المواضيع والقضايا محل المقارنة، كما يستعين بمناهج مساعدة تعين على بلوغ الأهداف العميقة من الدراسة المقارنة، وفيما يلي ذلك:

المطلب الأول: المنهج المقارن كمنهج رئيس في البحث المقارن: سنتناول فيه تعريف المنهج المقارن، ثم شروطه، ثم خطواته وإجراءاته.

الفرع الأول: التعريف بالمنهج المقارن: عرّف تعريفات مختلفة حسب المجال الذي تقام فيه المقارنة، ومنها:

أولا: المنهج المقارن هو:" تلك الطريقة العلمية التي تعتمد على المقارنة في تفسير الظواهر المتماثلة من حيث إبراز أوجه التشابه و أوجه الاختلاف فيما بينهما، وفق خطوات بحث معينة من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية بشأن الظواهر محل الدراسة."

ثانيا: المنهج المقارن هو:" المنهج الذي يعتمده الباحث للقيام بالمقارنة بين قضيتين أو ظاهرتين أو أكثر لتبيان أوجه الاختلاف أو الاتفاق بينهما فيما يتعلق بالمسألة محل البحث، بهدف الوصول إلى أفضل حل لتلك المسألة. "

ثالثا: المنهج المقارن هو:" المنهج الذي يسعى إلى إبراز مواطن الوفاق أو الخلاف بين قضيتين أو قضايا في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله."

وعليه فحقيقة المنهج المقارن ليست مجرد بيان أوجه الشبه أو أوجه الخلاف، بل لابد من تفسير ذلك وتعليله، ثم إن هذا المنهج واسع الاستعمال في العلوم الإنسانية، وهو يكافئ التجربة في العلوم العلمية والطبيعية.

الفرع الثاني: شروط المنهج المقارن: لكي يتم تطبيق وتوظيف المنهج المقارن في البحث تطبيقا صحيحا لا بد من توفر أربعة شروط أساسية وهي:

أولا: الاشتراك في الإشكال أو الموضوع: بمعنى أنه لا بد من كون القضيتين أو القضايا الخاضعة للمقارنة قد عرفت نفس الإشكال سواء على المستوى المنهجي، أو المستوى الموضوعي، و حصول الاشتراك في موضوع الدراسة المقارنة ضروري لقيام الأساس الذي تبنى عليه ركائز المقارنة في

كل أجزاء الموضوع الذي يتركب منها، فلا يعقل أن نبحث مثلا عن مقارنة بين الأصوليين والمحدثين في استعمال القياس؛ لأن أحد جانبي المقارنة مفقود، وهو القياس عند المحدثين، بينما يمكننا إقامة مقارنة موضوع العلة بين الأصوليين والمناطقة؛ لأن كلا طرفي المقارنة يتوفر على مجال للبحث في موضوع المقارنة.

ثانيا: مراعاة المقابلة التزامنية: والمقصود بالمقابلة أن يتم النظر إلى عناصر المقارنة في أجزاء الموضوع بمنهج تقابلي، بحيث يقوم الباحث بمناظرة عناصر الموضوع ومقابلتها لمعرفة عناصر الاختلاف والائتلاف فيها، مع إبراز ذلك بشكل تزامني، أي أن الباحث يقوم بمقابلة ومناظرة بين القضايا الجزئية للموضوع بصورة تزامنية لإدراك أوجه التشابه والاختلاف، أي في نفس الوقت الذي يذكر فيه السالب هنا يورد الموجب هناك لإبراز أوجه التقابل في نفس الوقت.

ويترتب على هذا الشرط وجود أسلوبين للمقارنة يمكن للباحث أن يعتمد أحدهما في الدراسة المقارنة هما: منهج المقارنة العمودية الذي يتناول فيه كل جزئية من جزئيات البحث في كلا طرفي المقارنة في آن واحد، ومنهج المقارنة الأفقية الذي يقوم فيه الباحث على بحث الموضوع في كل طرف على حدة، بحيث لا يعرض لموقف الطرف الثاني حتى ينتهي من بحث الموضوع في الطرف الأول.

ويمكن القول أن منهج المقارنة العمودية أفضل وأنجع من منهج المقارنة الأفقية؛ لأنه يبعدنا عن التكرار وتقطيع أوصال البحث، فضلا إلى أنه يؤدي إلى حسن وسهولة إدراك أوجه الاتفاق والاختلاف بين أطراف المقارنة.

ثالثا: التعميم: وذلك بأن يعتمد الباحث المنهج المقارن في أغلب مباحث الدراسة المقارنة، فلا يعد من المنهج المقارن قيام الباحث بعقد مقارنات في بعض قضايا الموضوع، ويهمل ذلك في قضايا أخرى، فالمنهج المقارن لابد وأن يغلب على طابع الدراسة ويكون مهيمنا عليها.

رابعا: كون المقارنة جادة وعميقة: يجب أن تكون المقارنة التي يقوم بها الباحث جادة وعميقة، ويتجنب المقارنات السطحية التي تقف عند حد أوجه التشابه والاختلاف الشكلية، بل لا بد من الغوص في الجوانب الأكثر عمقا للوقوف على أوجه التباين والتوافق الحقيقية.

الفرع الثالث: خطوات المنهج المقارن وإجراءاته: يمر تطبيق المنهج المقارن بالخطوات التالية:

أولا: تحديد موضوع المقارنة: وهي الخطوة الأولى من خطوات المنهج المقارن والتي يتم فيها تحديد الموضوع الذي سيقوم الباحث بإعداد المقارنة حوله.

ثانيا: وضع متغيرات المقارنة: من خلال صياغة مجموعة من المتغيرات التي تحتوي على نقاط تشابه أو اختلاف معا.

ثالثا: تفسير بيانات موضوع المقارنة: وهي تعتمد على فهم الباحث للبيانات التي استعان بها في تطبيق المقارنة.

رابعا: الحصول على نتائج المقارنة: وهي خلاصة أو مجموعة من النتائج التي تحصل عليها الباحث بعد تطبيقه للمقارنة، ومن ثمة كتابة تقرير نتائج البحث.

المطلب الثاني: المناهج المساعدة في البحث المقارن: إن المناهج المساعدة التي يستعين بها الباحث في الدراسات المقارنة منها مناهج إجرائية كالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي، ومنها مناهج عقلية كالمنهج الاستقرائي والاستنباطي والاستدلالي والتحليلي، وتفصيل ذلك فيما يلي:

الفرع الأول: المناهج الإجرائية: والمقصود بها أنواع المناهج التي تتنوع وفقا للأسلوب الإجرائي المعتمد في دراسة أحد العلوم أو فروعه، ويتغير نوعها تبعا لنوع البحث ومجاله، ومن أهم المناهج الإجرائية التي يستعين بها الباحث المقارن: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي.

أولا: المنهج التاريخي: سنتناول تعريفه ثم تسمياته ثم خطواته وإجراءاته.

1: تعريف المنهج التاريخي: عرفه العلماء تعريفات عديدة منها:

أ- المنهج التاريخي هو:" مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه وبجميع تفاعلات الحياة فيه."

ب- المنهج التاريخي هو:" الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل."

2: تسمياته: من خلال استقراء كتب المناهج وجدنا للمنهج التاريخي تسميات وإطلاقات أخرى أهمها:

أ- المنهج الوثائقي: ويسمى كذلك لأن الوثائق هي المادة الأساسية التي يشتغل عليها المؤرخ، فالتاريخ إنما يصنع بالوثائق، ولا تاريخ بدون وثائق.

ب- المنهج النقلي: لأنه يعتمد على نقل الأخبار والوثائق، فأساسه الرواية في مقابل المنهج العقلي الذي يبنى على الدراية.

ج- المنهج الاسترادادي: وهي أكثر التسميات المستخدمة في المنهج التاريخي، ويسمى بذلك لكونه يسترد الأحداث والوقائع الماضية ويسترجعها بهدف تحليلها تفسيرها.

د- المنهج التوثيقي: يطلق البعض على المنهج التاريخي المنهج التوثيقي، لأنه يعتمد على توثيق المادة التاريخية، غير أن المنهج التوثيقي في التصنيف الإسلامي للمناهج هو أعم من المنهج التاريخي الذي يعد أحد أنواعه، لأن المنهج التوثيقي يهدف إلى تقديم حقائق التراث جمعا أو تحقيقا أو تأريخا.

3- خطواته وإجراءاته: يمر البحث التاريخي بالخطوات والإجراءات التالية:

أ- اختيار الموضوع: والمراد بهذه الخطوة اختيار المشكلة التاريخية أو الحادثة التاريخية، فهي الأساس الذي ينطلق منه الباحث التاريخي أو المؤرخ.

ب- جمع المادة التاريخية: أي جمع الحقائق والوثائق التاريخية وتدوينها، وتصنف المصادر أو الوثائق التي يجمعها الباحث إلى وثائق مكتوبة أو مطبوعة، ووثائق أخرى تشمل الآثار كالبقايا الإنسانية والمخلفات الأثرية، إلى جانب الروايات الشفوية المباشرة والتي تمثل أحد أهم مصادر البحث التاريخي،كما أن هناك من يقسم المصادر التاريخية إلى أولية وهي المعاصرة للحدث أو الشخص، وثانوية وهي ما تم نقله هن المصادر الأولية.

ج- النقد والتمحيص: ويقصد بهذه الخطوة التحليل المفصل للاستدلالات التي تقود من ملاحظة الوثائق التي جمعها الباحث، وهي عملية ضرورية لجميع الوثائق مهما كان نوعها، ويتم النقد على مرحلتين:

* **النقد الخارجي**: وهو النقد الذي يستهدف منه التعرف على هوية وأصالة الوثيقة والتأكد من هدى صحتها، فإن كان المصدر وثائق مكتوبة فإن النقد الخارجي ينصب على الإجابة عن التساؤلات التالية: متى ظهرت الوثيقة؟ من هو مؤلفها؟ وهل المؤلف هو من كتب النسخة الأصلية أم هي منقولة؟

* **النقد الداخلي**: بعد القيام بالنقد الخارجي للوثيقة ينتقل الباحث إلى مرحلة النقد الداخلي عن طريق تحليل وتفسير النص التاريخي والمادة التاريخية، وهو ما يعرف بالنقد الداخلي الإيجابي، وبواسطة إثبات مدى أمانة وموضوعية وصدق الكاتب ودقة معلوماته، وهو ما يعرف بالنقد الداخلي السلبي.

د- التركيب التاريخي: من خلال صياغة الفرضيات التي تفسر الأحداث واختبارها؛ لأن النقد التاريخي أعطانا ما نسميه بحقائق التاريخ بشكل مبعثر متفرق ومجرد، ولا بد لهذه الحقائق أن تنظم ويتم الربط بينها بفرضية تعلل الحادث وتبين مجرياته وتعلل أسبابه وتحدد نتائجه، مما يعطي الباحث صورة عن موضوعه.

هـ- تفسير نتائج البحث وكتابة تقرير عنه: من خلال عملية الصياغة وعملية العرض، أما الصياغة فهي آخر العمليات التركيبية يسعى فيها المؤرخ للتعبير عن نتائج بحثه، والعرض التاريخي هو إخراج الموضوع وحدة كاملة متماسكة الأطراف، بحيث يكون إحياءً للماضي يتحسسه القارئ.

ثانيا: المنهج الوصفي: سنعرف فيه المنهج الوصفي ومضمونه ، ثم نبين أهم خطواته وإجراءاته، ثم نتناول أنواعه.

1- التعريف بالمنهج الوصفي: عرّف المنهج الوصفي تعريفات متعددة أهمها:

أ- **المنهج الوصفي**: هو" طريقة لوصف الظاهرة المدروسة كما توجد عليه في الواقع وتصويرها كميا أو كيفيا هن طريق جمع معلومات وتصنيفها وإخضاعها للدراسة الدقيقة."

ب- **المنهج الوصفي**: هو" أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة."

2- مجاله ومضمونه: والمنهج الوصفي منهج واسع الاستعمال في كل العلوم، و هو الأكثر ملاءمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية كسبيل لفهم ظواهره واستخلاص سماته، فهو يقوم إما على الوصف الكيفي من خلال وصف الظاهرة وصفا دقيقا وتوضيح خصائصها، أو الوصف الكمي بإعطائها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الطاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.

والمنهج الوصفي لا يقف عند مجرد الوصف من خلال جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، وإنما يتعدى ذلك إلى محاولة التشخيص والتحليل والربط والتفسير لهذه البيانات، وتصنيفها وقياسها وبيان نوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها واستخلاص النتائج منها.

3- خطوات وإجراءات المنهج الوصفي: يمر المنهج الوصفي بالمراحل التالية:

1- تحديد المشكلة المراد دراستها من خلال تفحص الموقف المشكل ودراسته.

2 صياغة فرضيات معينة لهذه المشكلة بناء على ملاحظاته، ويدون هذه المشكلة ويقرر الحقائق والمسلمات التي تستند إليها الدراسة.

3- اختيار عينة مناسبة للدراسة، ويعين مواضع فحصهم.

4- تحديد طرق جمع البيانات التي ينبغي الوصول إليها.

5- تصنيف البيانات المراد الوصول إليها، وذلك بغرض المقارنة والتوصل إلى بيان العلاقات.

6- اختيار أدوات البحث التي تستند إليها الدراسة (استبيان، مقابلة، ملاحظة...) وفقا لطبيعة المشكلة موضوع الدراسة، وبالتالي القيام بجمع البيانات بطريقة موضوعية ودقيقة.

7- تحديد النتائج التي توصل إليها الباحث وتصنيفها، ثم تحليلها وتفسيرها وكتابة تقرير البحث.

الفرع الثاني: المناهج العقلية: والمقصود بها تلك المناهج التي تبنى على أساس العمليات العقلية التأملية، وهي المناهج التي يسير فيها العقل في نطاق أصول وقواعد منظمة، وهي مناهج مشتركة في كل أنواع العلوم تقريبا بما فيها العلوم الإنسانية، وأهمها:

أولا: المنهج الاستقرائي:

1- تعريفه: وهو "نوع المنهج الذي يُعنى باستقراء وتتبع الأجزاء ليستدل منها على حقائق تعم على الكل، باعتبار أن ما يسري على الجزء يسري على الكل، فجوهر المنهج الاستقرائي هو الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، أو من الخاص إلى العام"، أو هو:" تتبع الجزئيات المتجانسة في شيء ما قصد تركيب صورة كلية منها لإنتاج قاعدة، أو تعميم حكم." وهو من المناهج المشتركة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية

2- أنواعه: ينقسم الاستقراء إلى تام وناقص:

أ- استقراء تام: وهو ملاحظة وتتبع جميع مفردات الظاهرة موضع البحث لإصدار الحكم الكلي على مفرداتها، بمعنى تتبع جميع جزئيات الكلي المطلوب معرفة حكمه، كما لو أردنا معرفة هل أن من بين طلبة السنة أولى طلبة إفريقيين، فإننا نستقرئ كل طالب موجود في المدرج استقراء كاملا حتى نصل إلى النتيجة، ويسمى هذا النوع من الاستقراء استقراءً كاملا ويقينيً، وهو غير عملي من الناحية الواقعية لما يتطلبه من القيام بتتبع وملاحظة كافة عناصر الظاهرة.

ب- استقراء ناقص: وهو يقوم على تتبع بعض مفردات الظاهرة ودراستها دراسة شاملة، ثم يقوم بتعميم النتائج على الكل، بمعنى تتبع بعض جزئيات الكلي المطلوب معرفة حكمه، كما لو أراد العلم الكيميائي معرفة مدى تأثير الضغط على الغازات، فإنه يجري التجربة على بعض الغازات والنتيجة التي يصل إليها يجعلها حكما عاما لجميع الغازات، وهو يسمي الاستقراء غير اليقيني، وهذا النوع من الاستقراء هو الذي يستند إليه العلم، وهو الذي يساعد في بناء المعارف والحضارات.

ثانيا: المنهج الاستنباطي:

1- تعريفه: وهو "على عكس المنهج الاستقرائي، حيث يبدأ من الحقائق الكلية لينتهي إلى الحقائق الجزئية، أي ينتقل من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص، فالاستنباط يبدأ أو يستند إلى مسلمات أو نظريات ثم يستنبط منها ما ينطبق على الجزء المبحوث، بمعنى أن الباحث عندما يسلك هذا المنهج فإنه ينطلق من قاعدة عامة ليقوم بتطبيقها على كل الحالات الخاصة أو الفردية."

ويمر المنهج الاستنباطي بثلاث خطوات هي:

أ- **المقدمة المنطقية الكبرى**: وهي عبارة عن مبدأ عام والذي يُعتقد صحته (من المسلمات).

ب- **المقدمة المنطقية الصغرى**: وهي المبدأ الخاص، أو الظاهرة المبحوثة والتي تنطبق مع المسلمات العامة.

ج- **النتيجة**: والتوصل إلى النتيجة يتم عبر سلسلة من المقارنات والقياسات والربط المنطقي بين المقدمتين.

2- العلاقة بين المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي: إذا كان المنهج الاستنباطي يسير في اتجاه معاكس للمنهج الاستقرائي، فهذا لا يعني أنه مناقض له، بل إن الصلة بين المنهجين لا تنقطع؛ لأن كلا منهما يكمل الآخر، فإذا كان المنهج الاستقرائي هو الطريق نحو تكوين القواعد العامة، فإن المنهج الاستنباطي هو الطريق نحو تطبيق هذه القواعد على الحالات الفردية لاختبار مدى فعاليتها وصوابها، فالعلاقة بينهما علاقة تبادلية، حيث أن الاستنباط يبدأ من حيث ينتهي الاستقراء، والاستقراء يحتاج إلى الاستنباط عندما يطبق القاعدة على الجزئيات.

ثالثا: المنهج الاستدلالي: ويعبر بعضهم عنه بالمنهج الاستنباطي نفسه، و يعرّف الاستدلال بأنه" البرهان الذي يبدأ من قضايا مسلم بها ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة، دون الالتجاء إلى التجربة، وهذا السير يكون بواسطة القول أو الحساب."

والاستدلال قد يكون عملية عقلية منطقية أولية(واضحة للعقل)، وهو كل برهان دقيق مثل الحساب والقياس، وقد يكون عملية سلوكية منهجية وهو ما يسمى بالمنهج الاستدلالي، أي التسلسل المنطقي المنتقل من مبادئ وقضايا أولية إلى قضايا أخرى تستخلص وتستنتج منها بالضرورة دون استعمال للتجربة، وقد يكون هذا الاستنتاج بسيطا، أو قياسيا، أو رياضيا.

رابعا: المنهج التحليلي: و هو الطريقة التي يتم بها تجزئة موضوع ما إلى أبسط عناصره بغية التمعن في دراسته والتعمق في معرفته، ومناك التحليل التجريبي المتبع في العلوم الطبيعية، وهناك التحليل النظري المجرد المتبع في العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكن لعملية التحليل حدود؛ لأن هناك عناصر أولية لا يمكن تحليلها، ويجب اعتمادها كمسلمات فكرية أو مبادئ، لذلك فحدود التحليل هي حدود التفكير واعتداده بقدرته، لأن التحليل عملية وأداة عقلية.

وفي مقابل المنهج التحليلي هناك **المنهج التركيبي** الذي يستهدف تركيب وتأليف الحقائق التي تم اكتشافها عن طريق المنهج التحليلي، وبمعنى آخر هو عملية جمع الأجزاء المتفرقة من كل متجانس، وهناك تركيب تجريبي وهو عندما يأتي لاحقا لتحليل حاصل، فيعيد جمع ما تجزأ وهي الطرقة المعتمدة في العلوم التجريبية والطبيعية، وهناك التركيب النظري الذي نعتمده في العلوم الإنسانية والاجتماعية عندما نجمع ما بين شتى الأفكار والمعلومات لتكون كلا متجانسا متآلفا.

المبحث الرابع: منهجية الدراسة الفقهية المقارنة: قبل الحديث عن منهجية الدراسة الفقهية المقارنة، لا بد من التعريف بهذا النوع من الدراسات المقارنة، ثم بيان منهجيتها وأهم مصادرها:

المطلب الأول: التعريف بالدراسة الفقهية المقارنة ومنهجيتها: يطلق علماء الشريعة الإسلامية على الدراسة الفقهية المقارنة مصطلح" الفقه المقارن"، لذلك سنعرف بالفقه المقارن أولا ثم بيان منهجيته.

الفرع الأول: التعريف بالفقه المقارن: مصطلح "الفقه المقارن" مركب إضافي من "الفقه" و"المقارن"، لذلك سنعرفهما ثم نتوصل إلى تعريف المركب:

أولا: تعريف الفقه لغة واصطلاحا: